٧٤

فقه أبي يوسف يعقوب بن محمد بن حبيب
من الظهراء

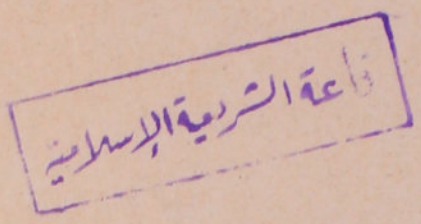

رسالة تقدم بها الطالب/ عبد العظيم شرف الدين
الصيد بكلية دار العلوم - بجامعة القاهرة

للحصول على شهادة الدكتوراه

شرعية
٨٥

أعدها تحت إشراف الأستاذ الكبير
الأستاذ / محمد الزفزاف رئيس قسم العلوم الإسلامية
ووكيل كلية دار العلوم .

٤٢١
حاسو

٩٥١١

رمضان سنة ١٣٧٩ هـ
مارس سنة ١٩٦٠ م

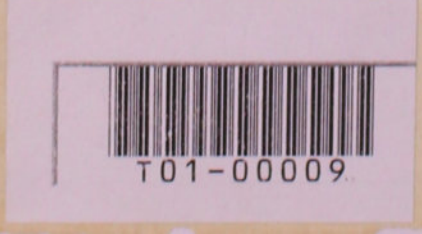

افتتاحيـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ، وأصلي وأسلم على رسولك

وأستمد منك العون والتوفيق فيما أنا بسبيله

مبتغيا به رضاك ، انك نعم المولى ونعم النصير

" وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت "

" واليه أنيب "

مقدمة

يكاد الباحثون يجمعون على أن دراسة تاريخ العلوم وتتبع الأدوار التي مرت بها منذ الطفولة الى أن تكامل نموها واستكمل عودها ونضجت ثمارها تعاون قضائها — حتى دراسة لهذه العلوم .

ومن أجل هذا أصبحنا نرى تاريخ الآداب يدرس الى جانب دراسة الآداب ، وتاريخ اللغات يدرس الى جانب دراسة هذه اللغات ، وتاريخ الطب يدرس الى جانب دراسة الطب ، وتاريخ الفقه والتشريع يدرس الى جانب الفقه والتشريع .

وان هذا اللون من الدراسة ينقسم الى شعبتين رئيسيتين :

الشعبة الأولى : دراسة الأطوار التي اجتازتها العلوم في تاريخها الطويل ، ودراسة كل مرحلة من المراحل دراسة تكشف النقاب عن خصائصها واتجاهاتها وأهدافها ومدى تأثرها بالعوامل التي سبقتها ومقدار تأثيرها في المراحل التي ولتها ، مع العناية بدراسة البيئات التي احتضنت هذه النظريات وساهمت في تكوينها وساعدت على بحثها مع مقارنة كل مرحلة بغيرها في خصائصها واتجاهاتها ومدى ما أحرزته من تقدم في تكوين النظريات العلمية ، ولا تعنى هذه الدراسة بالشخصيات التي أسهمت في بناء هذه العلوم وتوجيهها إلا بقدر الضرورة الملحة والإشارة العابرة التي تعرف القارئ بهذه الشخصيات محررة مجملة .

الشعبة الثانية : دراسة الشخصيات التي أسهمت في بناء هذه النظريات العلمية دراسة تحليلية تتناول العصور التي عاشوا فيها وتتبين الظروف التي تربوا في ظلها من سياسية وثقافية واجتماعية ، مع العناية بدراسة آرائهم دراسة حرة نزيهة خالية من التحيز ، رائدها الحق وهدفها إنصاف الحقيقة التي ينشدها الباحث الحر النزيه لا يرجو الباحث حينئذ رضى الناس أم سخطهم مادام يسير مع الحق حيث سارت ركائبه ، وينزل معه حيث نزلت رواحله ، وإذا كانت الشعبة الأولى تعنى بدراسة الأطوار التي مرت بها العلوم فإن الشعبة الثانية تعنى بدراسة المحاولات التي بذلها العلماء في هذه العلوم .

وموضوع هذه الرسالة : فقه أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم — من الشعبة الثانية لا من الشعبة الأولى ، ولهذا الموضوع دوافع وبواعث وهي :

أما الدوافع فهي رئيسة صادقة في إحياء التراث الفكري الإسلامي الذي خلفه رجال صدقت عزائمهم وأخلصت نياتهم فكان لهم من صدق عزائمهم وإخلاص نياتهم آثار دلت عليهم وصارت تشهد لهم الخلود والبقاء ، وإذا كانت طبيعة البحث تقتضي تقديم الأهم على المهم فإن أولى الباحثين بالدراسة والكشف عن آرائهم وبيان السمات التي تميزهم عن غيرهم هؤلاء الرواد الأحرار من المفكرين والباحثين الذين ضحوا براحتهم في سبيل عقائدهم السامية ، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل عقائدهم ، ووقفوا حياتهم

جامعة الشريعة الإسلامية

الظروف التي عاشوا فيها موقفا ايجابيا لا سلبيا فكانوا موجبين للحكام نحو الحق والعدل والانصاف .

هذا الدافع هو الذي يدفع الكثير من الباحثين إلى دراسة الشخصيات البارزة في تاريخ الفكر الاسلامي وهو الذي دفعني في الماضي إلى دراسة ابن قيم الجوزية وكان من بين المقترحات التي أوصيت بها وناديت بها حينئذ أن أحببت بالدراسات أن تعمل على تشجيع الباحثين على إحياء آثار هؤلاء الرواد من المفكرين كعز الدين ابن عبد السلام وابن قدامة والشوكاني وأضرابهم .

وإذا كان علماء النفس يقررون أن الدافع انما يعمل عمله صحوا يعتبر خسارا يحمل المرء على سلوك معين استجابة لهذا الدافع الداخلي فإن الشعور الذي حفزني لاختيار أبي يوسف هو هذه الفكرة التي تقدمتها في إعداد كتاب عن العلاقات بين الشريعة الاسلامية هذه المحاولة التي عشت معها ما يقرب من ثلاث سنوات حفزتني على الموازنة بين المقومات في التشريعة الاسلامية وفي القوانين الوضعية والتنويه من هذه الموازنة الى أنه يقدر ما صادفت المقومات في الشريعة الإسلامية من نجاح في القضاء على الرق قد أخفقت المقومات في القانون الوضعي في القضاء على الجريمة أو التخفيف من حدتها كما أبرزت العلاقة الوثيقة بين المقومات في الشريعة الإسلامية وبين المقومات الأساسية للمجتمع المسلم من عقيدة وعرض ومال وأرواح ثم بينت العناصر النفسية التي راعاها الشارع في عرض المقومات . في خلال هذه الدراسة التقيت بأبي يوسف كما التقيت بكثير من المفكرين الإسلاميين ولكن برزت أمامي هذه الشخصية لسببين في الحق لا تعدوهما لو سبعة لاتم لهذا كله أخذت على عاتقي دراسة أبي يوسف في هذه الرسالة ، وعلى الرغم من أن الطريق كان مليئا بالأشواك ومحفوفا بالمخاطر وقد يعرض الاسطاد العثور بوعورة ولكني لم يكن لي اختيار أمام دافع ملح يؤازره مثير قوي فآثرت ركوب الصعب وتحمل المخاطر استجابة لهذا الدافع وخضوعا لهذا المثير أخذا بقول القائل :

يعيرت بالراحة الدنيا فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

وأما الغاية من هذه الرسالة فهي عرض لفكر أبي يوسف أمام الباحثين وإبداء رأيي فيما يكشف الكتاب عن سماته التي امتاز بها عن غيره وبين خصائصه وآرائه التي استقل بها كما يدلنا على الطابعين التي سار عليها في حياته العلمية عامة والقضائية خاصة .

مع العرض على دراسة آرائه دراسة مقارنة تبين مافيها من وجوه الصواب محاولا أن يتضح للدارسين الوقوف على الفراغ الفكري الذي خلفه أبو يوسف وراءه والقاعدة التي أقامها على الأسس التي انتهيت اليها في هذه الرسالة ، كما أنني أرجو

على الباحثين الكثير من الجهد والوقت ، وتعرض أمامهم الحقائق العلمية عرضا أمينا منظما ، وحسب هذه الدراسة أنها تعرف أمام الباحثين صورة صادقة لفكر من مفكري الإسلام الأحرار الذين شاركوا في وضع المبادئ التي سار عليها المسلمون في حياتهم التشريعية ، وأني كبير الأمل في أن يتأثر الباحثون بنزعة أبي يوسف إلى الحرية في مجال البحث العلمي فلا يجمدون على الآراء الموروثة ولا يكتفون بترديد فتاوى السابقين بل يناقشون فيها موقف تحر وتمحيص ، وإذا صح ما يقوله علماء النفس من انتقال أثر التدريب فإن هذه الحرية في مجال البحث العلمي سوف تنتقل إلى المجال الاجتماعي فينشأ جيل حر قوي لا يذل ولا يهون بل يستعذب الموت في سبيل المبدأ ويرى الموت في سبيل الحق موسم فخار وعزة وكرامة ، وبهذا يتحقق ما نصبو إليه نفوسنا من وجود مجتمع إسلامي يسير قدما ويساير ركب الإنسانية الصاعد نحو المجد والعزة والكرامة ويتخذ أبطاله من الماضي عبرة ومن الحاضر عدة للمستقبل .

وأما عن هذه الرسالة فهو الخطة التي اتبعتها في إخراجها بعد أن عشت معها زمنا ليس باليسير ثم أخرجتها في خمسة أبواب وخاتمة وقد اشتملت أبوابها على ثمانية عشر فصلا :

تحدثت في الباب الأول عن البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية وقد عنيت بهذه الخطوات للصلة الوثيقة بينها وبين ما يتمتع به الإنسان من ضروب المعرفة فالإنسان ابن البيئة وحسبه كذلك مجموعة من المواهب الفطرية والصفات المكتسبة التي يكتسبها من تجاربه المختلفة ومن بيئته الخاصة والعامة ، ولا يمكن تجسيد أثر الظروف السياسية والحالات الاجتماعية والتيارات العلمية في صبغ الأشراف والمجتمع صبغة خاصة وتلوينهم بلون خاص يتناسب والظروف التي يعيشون فيها كما عنيت بدراسة المراحل التي مر بها التشريع الإسلامي منذ عهد الرسول إلى أن تكونت المذاهب الإسلامية لتكون على صلة بالحقل العلمي الذي عمل فيه أبو يوسف فقسمتها وفاضيا أول الأمر ثم قاضي قضاة آخر الأمر .

تحدثت في الفصل الأول عن البيئة السياسية :

وبينت أن أبا يوسف قد ولد في ظل خليفة قاس يبطش بأعدائه بمنتهى شر تنكيل ، وقد طال سعده وهو لا يزال في المهد صبيا ما لحق بالعلويين من هذا الخليفة من ضروب البطش والتنكيل ، هذا الخليفة هو هشام بن عبد الملك ، ثم جاء من بعده خليفة خلوع هو الوليد بن يزيد الذي لقي مصرعه ، فكان من الطبيعي أن يتحدث الناس عن هذا الخليفة ويرددوا في مجالسهم الحديث عن لهوه وعبثه ، ومن

فهرس اجمالي :

افتتاحية ـــــــ مقدمة ـــــــ

الباب الأول :

عصر ابي يوسف (١ ـ ٧٧)

الفصل الأول : الحياة السياسية (١ ـ ٧)
الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية (٨ ـ ٢٣)
الفصل الثالث : الحياة الثقافية (٢٤ ـ ٣٩)
الفصل الرابع : التشريع الاسلامي منذ النشأة الى ان تدوّنت المذاهب الاسلامية (٣٩ ـ ٧٧)

الباب الثاني :

التعريف بأبي يوسف ومعاصريه (٧٨ ـ ١١٧)

الفصل الأول : من أبو يوسف ؟ (٧٨ ـ ١٠٠)
الفصل الثاني : العلاقة بين ابي يوسف وشيوخه وقرنائه (١٠١ ـ ١١٢)
الفصل الثالث : مدى تأثير ابي يوسف في الفقه الاسلامي (١١٣ ـ ١١٧)

الباب الثالث :

التعريف بمؤلفات ابي يوسف (١١٨ ـ ٢٧٧)

الفصل الأول : كتاب الخراج : دراسة وموازنة ونقد وتحليل (١١٨ ـ ٢٠٤)
الفصل الثاني : كتاب الآثار : دراسة ونقد وتحليل (٢٠٥ ـ ٢١١)
الفصل الثالث : كتاب الرد على سير الأوزاعي دراسة ونقد وتحليل (٢١٢ ـ ٢٤٣)
الفصل الرابع : كتاب الاختلاف بين ابي حنيفة وابن ابي ليلى دراسة ونقد وتحليل (٢٤٤ ـ ٢٧٧)

الباب الرابع :

الآراء التي استقل بها ابو يوسف (٢٧٨ ـ ٦١١)

الفصل الأول : آراؤه في العبادات (٢٨٠ ـ ٤٣٨)
الفصل الثاني : آراؤه في المعاملات (٤٣٩ ـ ٤٩٧)
الفصل الثالث : آراؤه في احكام الاسرة (٤٩٨ ـ ٥٧٢)
الفصل الرابع آراؤه في تحرير الرقاب (٥٧٣ ـ ٥٧٧)
الفصل الخامس : آراؤه في الأيمان والنذور (٥٧٨ ـ ٥٨٩)
الفصل السادس : آراؤه في العقوبات (٥٩٠ ـ ٦١١)

الباب الخـــامس :

مهرابى يوســـــــــف :

(٦١٢ ـ ٦٤٨)

خاتمـــــــــة :

(٦٤٩ ـ ٦٥١)

المراجـــــــع :

(٦٥٢ ـ ٦٥٤)

الفهـــــــرس :

(٦٥٥ ـ ٦٥٦)

تم بحمد اللـــه وتوفيقـــه :

١٤ من رمضان سنـــة ١٣٧٩ هـ

فى يوم السبت الموافـــق

١٢ من مارس سنـــة ١٩٦٠ م